

دراسات قرآنية

①

البَيْتُ هَيْبَاتٌ

في القرآن الكريم
دراسة نظرية

تأليف

أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي

أستاذ ورئيس قسم الدراسات القرآنية

كلية المعلمين - بالرياض

مكتبة
التوبة



البَيِّنَات

في القرآن الكريم
دراسة تطبيقية

السعودية. هاتف: ٤٧٦٦٢٧٩

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فقد كان الناس في جهالة جهلاء وضلالة عمياء فأنزل الله تعالى هذا القرآن وأخرجهم به من الظلمات إلى النور وصاروا بعد أن كانوا في أدنى درجات الجاهلية خير أمة أخرجت للناس.

آمنوا بالقرآن واتبعوه وساروا على نهجه وانقادوا لحكمه بعد أن أدركوا ساعتها إعجازه الذي لا يمكن أن يأتي بمثله بشر.

واقتضت حكمة الله تعالى أن يكون هذا الكتاب خاتم الكتب فكان إعجازه مصاحباً له عند كل أمة، ومع كل جيل، وفي كل قرن.

فنيت أُمَّمٌ وذهبت أجيال والقرآن هو هو ما زال إعجازه متجدداً وما زال عطاؤه مستمراً يعلن أنه صالح لكل زمان ومكان.

وتعددت وجوه إعجازه وتنوعت يدرك منها الناس في كل عصر وجوهاً وتغيب عنهم وجوه.

حتى ما كان يعتقد أنه قد استُوفي وأخذ حَقُّه من الدراسة والبحث وكاد أن يغلق بابه لا يلبث الناس أن يروا أنهم لازالوا في أول درجاته.

خذوا مثلاً الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم أدركه القوم الذين نزل فيهم وتذوقوه، وأولاه مَنْ بعدهم عناية أكبر بالدراسة ثم جاءت

قرون تالية ظهر فيها أئمة البلاغة وأرباب الفصاحة وأولوا القرآن عنايتهم، كيف لا وهو مثلها الأعلى في البلاغة والفصاحة والبيان فدرسوه وبينوه ووقفوا عند صور البلاغة، وأساليب البيان، وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه حتى ظننا أنه لم يبق شيء لم يدرسوه.

وفي القرآن آيات قريبة المعنى ظاهرة الدلالة، بل إن وضوح معناها وظهوره كان لدرجة أن لا يخفى على أحد بل إن المتأمل ليقف متسائلاً عن الحكمة في ذكرها على هذه الدرجة من الوضوح، وآيات أخرى من هذا النوع تذكر قضية لا يختلف فيها اثنان بل هي أمرٌ بدهيٌّ يدركه الإنسان من فوره.

فهذه آيات تذكر معلومة لا تخفى أو أمراً ظاهراً لا يحتاج إلى تقرير أو بيان، ونجزم أنه لا بد لذلك من حكمة، ولا بد له من فائدة، وإلا كان حشواً ينتزه عنه كلامُ البلغاء فضلاً عن كلام الرحمن القرآن الكريم.

وقد تناول المفسرون وعلماء البلاغة آيات هذا النوع آحاداً في كتبهم ولم يدرسوها مجتمعة إلا إشارات سريعة كأن يشير أحدهم إلى آيتين أو ثلاث تشبه الآية التي يدرسها وهو من النادر أيضاً.

وقد اجتمع لديّ مجموعة من هذا النوع من الآيات التي رأيت أن دلالتها على المقصود أمر بدهي فنظرت فيها وفي كلام أهل التفسير والبلاغة عنها، وحاولت تحديد أنواعها، وأقسامها، وضرب الأمثلة لكل نوع منها وذكر أقوال المفسرين في بيان الحكمة فيها ووجه بلاغتها وهي على كُلِّ خطوة في طريق طويل وجديد.

طويل لدرجة أن تصلح بعضُ أجزائه رسائل للدراسات العليا، وجديد إذ إن أقوال العلماء فيه شذرات متفرقة.

ولا يفوتني أن أذكر أن أستاذي وشيخي الدكتور مصطفى مسلم - حفظه الله - قد طرح هذا الموضوع على طلابه في الدراسات العليا وكان منهم زميلي الشيخ محمد بن عبد العزيز الخضير الذي كتب فيه كتابة متقنة موجزة، رأيت بعد الاطلاع عليها أهمية الموضوع وضرورة الكتابة فيه قدر المستطاع فكان هذا البحث الوجيز والإشارة العاجلة.

وهذا جهدي، ومبلغ طاقتي وأسأل الله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه إنه سميع مجيب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهد بن عبد الرحمن الرومي

صبيحة يوم السبت ٨/٧/١٤١٥هـ

المراد بالبدهيات

البدهية أول كل شيء، وما يفجأ من الأمر، والبديهية: المعرفة يجدها الإنسان في نفسه من غير إعمالٍ للفكر ولا علمٍ بسببها. والبديهية قضية اعترِفَ بها ولا يُحتاج في تأييدها إلى قضايا أبسط منها مثل أنصاف الأشياء المتساوية متساوية^(١).

وقد عدَّ ابن حزم رحمه الله تعالى من معارف النفس ما أدركت بحواسها الخمس ثم عدَّ الإدراك السادس علمها بالبدهيات ومثَّلَ لذلك بعلمها أن الجزء أقل من الكلِّ، وأنَّ الضدين لا يجتمعان، وأنه لا يكون فعل إلا لفاعل، وغير ذلك، ثم وصفها بأنها أوائل العقل التي لا يختلف فيها عقل... وليس يدري أحد كيف وقع العلمُ بها... وأنها ضرورات أوقعها الله في النفس ولا سبيل إلى الاستدلال البتة إلا من هذه المقدمات ولا يصح شيء إلا بالرد إليها فما شهدت له مقدمة من هذه المقدمات بالصحة فهو صحيح متيقن وما لم تشهد له بالصحة فهو باطل ساقط إلا أن الرجوع إليها قد يكون من قرب ومن بعد فما كان من قرب فهو أظهر إلى كل نفس وأمكن للفهم، وكلما بعدت المقدمات المذكورة صعب العمل في الاستدلال حتى يقع في ذلك الغلط إلا للفهم القوي الفهم والتمييز^(٢).

(١) المعجم الوسيط: ج ١ ص ٤٤.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم ج ١ ص ٥ - ٧ بتصرف.
ولمزيد تفصيل في مذهب ابن حزم في ذلك انظر مقال (العقل والحقيقة) للأستاذ أبي عبد الرحمن بن عقيل - مجلة الفيصل العدد ٢١٥ ص ٤٨ - ٥٠.

وقال الجرجاني «البديهي: هو الذي لا يتوقف حصوله على نظر وكسب، سواء احتاج إلى شيء آخر من حدس أو تجربة أو غير ذلك أو لم يحتج، فيرادف الضروري. وقد يراد به ما لا يحتاج توجه العقل إلى شيء أصلاً فيكون أخص من الضروري كقصور الحرارة والبرودة، وكالتصديق بأن النفي والإثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان»^(١) وقيل البدهي هو الذي يفرض نفسه فرضاً على العقل ولا يترك له أدنى مجال للشك^(٢).

وينبغي أن نُفَرِّقَ هنا بين البدهيات والمُسَلَّمات، فقد عَرَّفَ الجرجاني المُسَلَّمات بأنها «(قسم من المقدمات الظنية) وهي قضايا تُسَلَّم من الخصم ويبنى عليها الكلام لدفعه سواء كانت مسلمة بين الخصمين أو بين أهل العلم كتسليم الفقهاء مسائل أصول الفقه»^(٣).

ويبدو أن العلاقة بين البدهيات والمُسَلَّمات علاقة عموم وخصوص، فكل بدئية مُسَلَّمة وليست كل مُسَلَّمة بدئية فالبدهيات أخص من المُسَلَّمات.

ومن أمثلة المسلمات الاحتجاج على الخصم بما لا يجد بُدّاً من التسليم به فحين احتج إبراهيم على المَلِك بأنَّ الربَّ هو الذي يُحيي ويُميت، كابرَ وأنكر التسليم بذلك فغالط وادعى أنه يُحيي ويُميت فردَّ عليه إبراهيم عليه السلام بقضية مُسَلَّمة لا يستطيع معها المكابرة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾^(٤). فلم يستطع الملك إنكار هذه القضية ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾^(٤).

ومن أمثلة ذلك الاحتجاج بالمبدأ وهو مُسَلَّم لإثبات المعاد على

(١) التعريفات للجرجاني ص ٥٣.

(٢) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية: جلال الدين سعيد ص ٧٥.

(٣) التعريفات: الجرجاني ص ٢٤١.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

من ينكره ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعِى الْعِظَمَ وَهَى رَمِيهُ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ^(١).

ومثل هذه المسائل والقضايا وإن كانت مُسَلَّمة إلا أنها تحتاج إلى نَظَرٍ وَكَسْبٍ ولا يجدها الإنسان في نفسه من غير إعمالٍ للفكر ولا عِلْمٍ بسببها مما هو خاص بالبدهيات.

ولعله يظهر بهذا النوع الذي نريد دراسته هنا من القضايا التي تناولها القرآن الكريم وهي القضايا التي يستغرب التالي للقرآن والمتدبرٌ لمعانيه النَّصَّ عليها في القرآن مع أنَّ حصولها لا يتوقف على نظر وَكَسْبٍ ولا يختلف فيها عقل، فقوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾^(٢). بعد قوله ﴿فَصِيَامٌ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾. قضية بدئية لا يحتاج إدراكها بعد تَوَجُّه العقل إلى شيء أصلاً.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَا طَلِيرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾^(٣). فَإِنَّ ذِكْرَ طَيْرَانِ الطير بجناحيه مما يدعو إلى السؤال عن السَّرِّ في النص على ذلك مع أنه من البَدْهِيَّ أَنَّ الطيرَ لا يطير إلا بجناحيه فيكفي في إدراك ذلك مجرد ذكره دون ذكر آلة طيرانه فهذا لا يحتاج إلى أكثر من توجه العقل.

والبدهيات - فيما أحسب - تنقسم من حيث مصدر البداهة إلى قسمين:

أولهما: ما جاءت بداهته من حيث أنَّ النص الثاني نتيجة بدئية للنص الأول مثل: ﴿فَصِيَامٌ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾^(٤). حيث قال بعدها: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾^(٥). وهي نتيجة حسابية لا تحتاج إلى

(١) سورة يس: الآيتين ٧٨ - ٧٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٦.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٦.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٩٦.

أكثر من تَوَجُّه العقل ويستند إدراكها إلى النص الأول مع التوجه العقلي الأولي لإدراكها.

ثانيهما: ما جاءت بداهته من التوجه العقلي الأولي دون استناد إلى نص سابق كمقدمة له، مثل: ﴿ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَمِيتُونَ﴾ (١٥) (١) فَإِنَّ إدراك هذا الأمر البدهي معلوم لا يحتاج إلى أكثر من توجه العقل تَوَجُّهاً أَوَّلِيّاً حتى ولو لم يسبقه نص يقرره أو يؤدي إليه بالضرورة.

ونستطيع أن نذكر بعد هذا أننا نريد بالبدهيات في القرآن الآيات التي يذكر فيها لازم ما سبقه من كلام أو آله أو نتيجة حسابية لعدد من لا يحتاج جمعُهما لغير توجه العقل توجُّهاً أَوَّلِيّاً.

وقد يعتقد كثير من الناس أَنَّ البدهيات بهذا المعنى لم تَرِدْ في القرآن إلا قليلاً والحق إنها وردت في كثير من الآيات يمر عليها كثير من التالين للقرآن من غير أن يكون في إدراك معناها جَسْأَةً (٢) توقفهم - ولو هنيهة - للتأمل والتفكير فيمرّون عليها سريعاً وكأن قوة ظهور معناها عامل على سرعة تجاوزها، وكان حق هذه الآيات أن نقف عندها طويلاً لا لإستظهار معناها فهذا قد كُفِينَاهُ، وإنَّما للتدبر والتفكير في سِرِّ إظهار معناها هذا الظهور وحكمة ذلك.

ولكثير من المفسرين وقفات عند مثل هذه الآيات طويلة عند بعضهم، وقصيرة عند آخرين وهم حين يتناولونها فإنَّما يتناولونها آحاداً من غير مقارنة بينهما أو دراسة لموضوعها، ونَجِدُ أَنَّ مثل هذه الوقفات تظهر عند المهتمين في تفاسيرهم بالبلاغة واللغة، ولهذا فإنَّه ينبغي أن نبين صلة البدهيات بعلم البلاغة.

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٥.

(٢) جَسَأَ: جَسَأَ وَجَسَّأَ وَجَسَّأَ: يَسُّوْنَ وَصَلُّوْنَ وَخَشَنَ. (المعجم الوسيط ج١ ص ١٢٢).

«صلة البدهيات بالبلاغة»

نشأ علم البلاغة كغيره من علوم اللغة العربية لخدمة القرآن الكريم وإظهار معانيه وإبراز أساليبه ولذا كان أغلب الأمثلة والشواهد التي يستدل بها علماء البلاغة من القرآن الكريم، ولا عجب في ذلك إذ إنهم يريدون ضرب الأمثال الظاهرة، والشواهد الواضحة، والدلائل القاطعة، على ما يريدون إثباته من صور البلاغة، وفي القرآن الكريم ما يطلبون وفوق ما يطلبون.

وقد عَرَّفَ السَّكَّاكِي البلاغة بقوله: «هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حَدًّا له اختصاص بتوفية خواص التركيب حَقًّا، وإيراد التشبيه والمجاز والكناية على وجهها»^(١).

وعرفها القزويني بقوله: «وأما بلاغة الكلام فهي مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحتها»^(٢).

ونقل الجاحظ تعريفاً لأحدهم فقال: «وقال بعضهم - وهو من أحسن ما اجتبيناه ودَوَّنَاهُ لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك»^(٣).

(١) مفتاح العلوم: السكاكي ص ١٩٦.

(٢) الإيضاح: العضي ص ٧.

(٣) البيان والتبيين: الجاحظ ج ١ ص ٧٥.

وإذا كان هذا هو تعريف البلاغة فإننا نجد المسائل البدهية في الآيات القرآنية من أدعى الآيات لإظهار وجه مطابقتها لمقتضى الحال إذ قد يبدو لبعض التالين أنَّ ما قَرَّرْتُهُ لا جديد فيه، بل هو بدهي لا يُنْكِرُ، وظاهرٌ لا يخفى، فأين هذا ومطابقته لمقتضى الحال، وحين يتصدى البلاغيون لمثل هذا فإنهم يكشفون وجوهاً من أعلى درجات البلاغة، وأجل ما تقتضيه مراعاة حال المخاطب، ويُظهرون حِكْمَةً وُورود الآية على هذا الوجه، وأنه ليس إلا ضرب من التفنن في الأساليب البلاغية، وأخذ بها من جميع أطرافها.

ثم نجد أن البدهيات تدخل في أبواب عديدة من مباحث البلاغة كالإطناب، والتوكيد، والتكميل، والتمميم، وغيرها، وليس في وسعنا تتبع هذه المباحث هنا واستقصاؤها وإنما نشير إلى مبحثين منها من أهمها وأوسعها أعني مَبْحَثَيَّ الإطناب والتأكيد.

الإطناب:

والإطناب مصدر أطنب في كلامه إطناباً إذا بالغ فيه وطَوَّلَ ذبوله لإفادة المعاني. واشتقاقه من قولهم: أطنب بالمكان إذا أطال مقامه فيه، وفرس مطنب إذا طال متنه، ومن أجل ذلك سُمِّيَ حبل الخيمة طنباً لطوله، وهو نقيض الإيجاز في الكلام^(١).

والعلاقة بين الإطناب والبلاغة وثيقة بل عرفوا الإطناب بأنه (البلاغة في المنطق والوصف مدحاً كان أو ذمّاً، وأطنب في الكلام: بالغ فيه)^(٢).

بل عرفوا البلاغة بأنها: «الإيجاز والإطناب»^(٣) وإنما جمعوا

(١) الطراز: يحيى بن حمزة العلوي ج ٢ ص ٢٣٠.

(٢) لسان العرب: ابن منظور: ج ١ ص ٥٦٢ مادة (طنب).

(٣) الاتقان: السيوطي ج ٢ ص ٥٣.

بينهما وهما نقيضان لاختلاف المقامات فما يصلح في مقام لا يصلح في الآخر، ولهذا قال العسكري: القول القصد أن الإيجاز والإطناب يُحتاج إليهما في جميع الكلام وكل نوع منه، ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ.

كما روي عن جعفر بن يحيى أنه قال مع عجبه بالإيجاز: متى كان الإيجاز أبلغ كان الإكثار عيًّا، ومتى كانت الكناية في موضع الإكثار كان الإيجاز تقصيرًا.

وأمر يحيى بن خالد بن برمك اثنين أن يكتبوا في معنى واحد، فأطال أحدهما، واختصر الآخر فقال للمختصر - وقد نظر في كتابه -: ما أرى موضع مزيد، وقال للمطيل: ما أرى موضع نقصان.

وقال غيره: البلاغة الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل^(١).

فإذا عرفت الإطناب ومكانته من البلاغة فينبغي أن تعرف الفرق بينه وبين التطويل والتكرير والترادف، فقد عرفوا الإطناب بأنه «زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد»^(٢) فقولنا: (زيادة اللفظ على المعنى) عام في الإطناب والتطويل والتكرير والترادف.

وقولنا (لفائدة) يخرج عنه التطويل فإنه لغير فائدة وهذا هو الذي عليه الأكثر من علماء البلاغة والإطناب صفة محمودة في البلاغة بخلاف التطويل فإنه صفة مذمومة في الكلام^(٣).

(١) الصناعتين: لأبي هلال العسكري ص ١٩٦.

(٢) الطراز: العلوي ج ٢ ص ٢٣٠.

(٣) الطراز: العلوي ج ٢ ص ٢٣٢ والفوائد المشوق: ص ١٥٩. والصناعتين: العسكري ج ٢ ص ١٩٧.

وقولنا (جديدة) تخرج عنه الألفاظ المترادفة فإنها زيادة في اللفظ على المعنى لفائدة لغوية ولكنها ليست جديدة، وقولنا: (من غير ترديد) يخرج عنه التكرير فإنه دلالة على المعنى مردداً^(١). وليس كل التكرار مذموماً فقد فَرَّقَ الخطابي بين المحمود منه والمذموم فقال:

«وأما ما عابوه من التكرار فإن تكرار الكلام على ضربين:

- أحدهما: مذموم وهو ما كان مُستغنى عنه غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول لأنه حينئذ يكون فضلاً من القول ولغواً، وليس في القرآن شيء من هذا النوع.

- والضرب الآخر: ما كان بخلاف هذه الصفة... وإنما يُحتاج إليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها، ويُخاف بتركه وقوعُ الغلط والنسيان فيها، والاستهانة بقدرها، وقد يقول الرجل لصاحبه في الحث والتحريض على العمل: عجل عجل، وإرم إرم، كما يكتب في الأمور المهمة على ظهور الكتب مهم مهم مهم ونحوها من الأمور^(٢).

وإذا عرفنا الفرق بين الإطناب والتطويل والتكرير والترادف، فإنه ينبغي أن نعرف أنَّ الإطناب ينقسم إلى قسمين:

الأول: ما يكون متعلقاً بالجملة الواحدة من الكلام وهو نوعان:

١ - ما يَرِدُّ من الإطناب على جهة الحقيقة بأن يكون معنى اللفظ الزائد هو معنى المذكور، ويكون مغايراً له.

ومن أمثلة هذا النوع قولنا: رأيتُه بعيني وقبضته بيدي، ووطئته بقدمي وذقته بلساني، إلى غير ذلك من تعليق هذه الأفعال بما ذكر من الأدوات.

(١) الطراز: العلوي ج٢ ص ٢٣٠ والمثل السائر: ابن الأثير ج٢ ص ١٢٨.

(٢) بيان إعجاز القرآن: الخطابي ص ٤٧ - ٤٨.

وقد يظن ظان أن تعليق هذه الأفعال بهذه الآلات إنما هو لغو لا حاجة إليه فإن تلك الأفعال (الرؤية، القبض، الوطاء، الذوق) لا تُفعل إلا بهذه الآلات (العين، اليد، القدم، اللسان) وليس الأمر كما يظن الظان بل هذا إنما يقال في كل شيء يعظم مثاله ويعزُّ الوصول إليه أو يصعب تصديقه، أو يشتد إنكاره، فيؤتى بهذه الأدوات على جهة الإطناب دلالة على نيّله، أو لتأكيد وقوعه، كما لو أنكر المخاطب قولاً نسبته إليه فقلت: لقد قلت بلسانك وسمعتك منك بأذني، فمع أن القول لا يكون إلا باللسان وأن السماع لا يكون إلا بالأذن فإن أحداً لا يُنكر من قولك، بل يدرك أنك ذكرت ما ذكرت لعلّه مقبولة.

وعلى هذا النحو ورد قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾^(١).

لأن هذه الآية إنما وردت في شأن جعل الزوجة الحلال بمنزلة الأم.

الحرام في الظهار وفي جعل الأديعاء أبناء فأعظم الله الرّد والإنكار في أن تكون الزوجة أمّاً والمملوك ابناً وأنّ مثل هذا يكون محالاً^(٢).

٢ - ما يرد من الإطناب في الجملة الواحدة على جهة المجاز وهذا كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٣).

إذ من المعلوم أنّ القلوب لا تكون إلا في الصدور، إلا أنه لِمَا عُلِمَ وتحقق أنّ العمى على جهة الحقيقة إنما يكون في البصر وأن استعماله في القلوب، إنما يكون على جهة التجوز بالتشبيه، فلما أريد

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤.

(٢) انظر الطراز: العلوي ج ٢ ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٣) سورة الحج: الآية ٤٦.

ما هو على خلاف المتعارف من نسبة العمى إلى القلوب ونفيه عن الأبصار لا جَرَمَ احتاج الأمر فيه إلى زيادة تصوير وتعريف ليتقرر أنَّ مكان العمى هو القلوب لا الأبصار^(١).

- الثاني: الإطناب الذي يكون في الجمل المتعددة وهو أربعة أنواع هي:

١ - أن يذكر الشيء فيؤتى فيه بمَعَانٍ مُتداخلة، إلا أن كل معنى يختص بخصيصة ليست للآخر كقول أبي تمام:

مِنْ مِثْلٍ مشهورة وصنِعةٍ بكرٍ وإحسانٍ أغرَّ مُحَجَّلٍ^(٢)
فالْمِثْلُ والصنِعة والإحسان أمور متقاربة وليس ذلك من قبيل التكرير لأنها إنما تكون تكريراً لو اقتصر على ذكرها مُطلقه من غير صفة كأن يقول منة وصنِعة وإحسان ولكنه وَصَفَ كُلَّ واحدة منها بصفة تخالف صفة الآخر فلا جرم أخرجها ذلك عن حكم التكرير.

٢ - النفي والإثبات: وهو أن يُذكر الشيء على سبيل النفي، ثم يُذكر على سبيل الإثبات أو بالعكس من ذلك، ولا بد من أن يكون في أحدهما زيادة فائدة ليست في الآخر يؤكد ذلك المعنى المقصود وإلا كان تكريراً وذلك كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾^(٣) إِنَّمَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَذَدَّرُونَ^(٤) (٣).

(١) الطراز: العلوي ج ٢ ص ٢٣٧.

(٢) ديوان أبي تمام: ص ٢٠٦.

(٣) سورة التوبة: الآيتين ٤٤ - ٤٥.

فالآية الثانية كالأية الأولى إلا في النفي والإثبات، فإن الأولى من جهة الإثبات والثانية من جهة النفي، فلا مخالفة بينهما إلا فيما ذكرناه خلا أن الثانية اختصت بمزيد فائدة وهي قوله: ﴿وَأَزَّاتَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَذَدَّرُونَ﴾... ولولا هذه الفائدة لكان ذلك تكريراً ولم يكن من باب الأطناب.

٣ - أن يذكر المعنى الواحد تاماً لا يحتاج إلى زيادة ثم يُضرب له مثال من التشبيه كقول البحرني يصف امرأة^(١):

ذات حسن لو استزادت من الحسن إليه لما أصابت مزيداً
فهي كالشمس بهجة والقضيب اللدن قداً والريم طرفاً وجيدا
فالبيت الأول كان كافياً وتاماً في إفادة المدح غير أن في البيت الثاني تشبيهاً أفاد تصوُّراً وتخيلاً لا يحصل من المدح المطلق وهذا الضرب له موقع بديع في الإطناب.

٤ - الاستقصاء في ذكر أوصاف الشيء للمدح أو الذم ونحوهما كقول بعضهم:

لأعلى الورى قدراً وأوفرهم حجى وأرشدهم رأياً وأسمحهم يداً^(٢)
فهذه أقسام الإطناب في الجملة الواحدة وفي الجمل المتعددة وله أساليب متنوعة لا نطيل بتفصيلها ولا نقصر عن إيجازها فمنها:

١ - الإطناب بالاعتراض.

٢ - الإطناب بالإيضاح.

(١) ديوان البحرني ج١ ص ٥٩١.

(٢) أقسام الإطناب في الجمل المتعددة نقلتها عن كتاب الطراز: للعلوي ج٢ ص ٢٣٨ - ٢٤٤، وانظر الفوائد المشوق: ص ١٥٧ - ١٥٩ ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها د. أحمد مطلوب ج١ ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

- ٣ - الإطناب بالإيغال .
- ٤ - الإطناب بالبسط .
- ٥ - الإطناب بالتميم .
- ٦ - الإطناب بالتذييل .
- ٧ - الإطناب بالتكميل .
- ٨ - الإطناب بالتكرير .
- ٩ - الإطناب بالتوشيع .
- ١٠ - الإطناب بذكر الخاص .
- ١١ - الإطناب بالزيادة .

وبهذا ندرك منزلة الإطناب في علم البلاغة ومكانته الكبيرة وأنه محيطها الأكبر الحائز على نصيب أكبر من مباحثها، وأن مباحث أخرى ليست إلا من فروعه وإن طالت، ولذا أطنبتُ في الحديث عنه وما أطلتُ وما ذاك إلا لأنه وثيق الصلة ببحثنا أو إن شئت فقل إن بحثنا وثيق الصلة به، ذلكم أن المعاني البدئية كما أشرت في تعريفها هي لازم ما سبقها من كلام أو آله التي لا يكون إلا بها فتبدو لأول وهلة إن لم تكن تطويلاً فهي إطناب، ينبغي تعليل اختياره، وتوضيح حكمته، وبيان معناه.

التأكيد:

وهو تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره (وفائدته) وإزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدد^(١).

وأنواعه كثيرة^(٢) ويهمنها التوكيد الصناعي وهو أربعة أقسام:

(١) الطراز: العلوي ج٢ ص ١٧٦.

(٢) ذكر الزركشي في البرهان ثمانية وعشرين قسماً للتوكيد وفصل القول فيها من ص ٣٨٤ ج٢ إلى ص ١٠١ ج٣.

(أحدها) التوكيد المعنوي بالنفس والعين وكل وجميع وعامة وكلا
وكِلتا^(١).

(الثاني) التأكيد اللفظي وهو تكرار اللفظ الأول، إما بمرادفه كقوله
تعالى: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾^(٢). على قراءة كسر الراء^(٣) و ﴿وَعَرَّيْبُ سُودٌ﴾^(٤).

وإما بلفظه، ويكون التكرار للاسم والفعل والحرف والجملة
فالا اسم مثل ﴿قَوَّارِبًا قَوَّارِبًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقِيرًا﴾^(٥) والفعل ﴿فَمَهْلٍ
الْكُفْرَيْنِ أَمْنَهُمْ رُؤْدًا﴾^(٦).

واسم الفعل نحو ﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ﴾^(٧) والحرف نحو ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ
فِيهَا﴾^(٨) والجملة نحو ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٩) ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(١٠).

(الثالث) تأكيد الفعل بمصدره وهو عَوْضٌ من تكرار الفعل
مرتين، وفائدته رفع تَوْهَمِ المجاز في الفعل بخلاف التوكيد السابق فإنه
رفع توهم المجاز في المسند إليه^(١١).

ويكون تأكيد الفعل بمصدره نحو ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١٢)

(١) أوضح المسالك: ابن هشام ج٣ ص ٣٢٧ - ٣٢٨.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.

(٣) وهي قراءة نافع وأبي بكر، وقرأ الباقر بفتح الراء (التذكيرة في القراءات: ابن
غلبون ج٢ ص ٤١٠ والكشف عن وجوه القراءات السبع لأبي محمد مكي بن
أبي طالب ج١ ص ٤٥٠).

(٤) سورة فاطر: الآية ٢٧. (٥) سورة الإنسان: الآيتين ١٥ - ١٦.

(٦) سورة الطارق: الآية ١٧.

(٧) سورة المؤمنون: الآية ٣٦.

(٨) سورة هود: الآية ١٠٨.

(٩) سورة الانشراح: الآيتين ٥ - ٦.

(١٠) الالتقان: للسيوطي ج٢ ص ٦٦.

(١١) المرجع السابق.

(١٢) سورة النساء: الآية ١٦٤.

وتارة يكون تأكيداً بمصدر فعل آخر نحو ﴿وَبَيَّنَّا إِلَيْهِ بَيِّنَاتٍ﴾^(١) إذ المصدر بتلاً، والتبتيـل مصدر بَتَلَ^(٢) وتارة يكون التأكيد بمرادفه كقوله تعالى: ﴿إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾^(٣) فإن الجهار أحد نوعي الدعاء^(٤).

ويحتمل أن يكون منه ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ﴾^(٥). ومثل هذه الآية في التصريح بالمصدر مع ظهوره فيما قبله قوله تعالى: ﴿فَنَقَّبَلْنَا رُبُّهَا بَقْبُولٍ حَسَنٍ﴾^(٦). وقوله: ﴿فَاسْتَبَشِرُوا بِنَجْوَى اللَّهِ الَّتِي بَايَعْتُمْ يَدَهُ﴾^(٧). وقوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾^{(٨)(٩)}.

(الرابع)^(١٠): الحال المؤكدة لعاملها وهي الآتية لتأكيد الفعل وسميت مؤكدة لأنها تُعلم قبل ذكرها فيكون ذكرها تأكيداً، لأنها معلومة من ذكر صاحبها كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا﴾^(١١). فالحياة معلومة من ذكر البعث وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْنُؤُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(١٢). فالإفساد معلوم من مجرد ذكر العثو وهو أشد الإفساد^(١٣) وكقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَنِفِّينَ غَيْرَ بُعِيدٍ﴾^(١٤) فعدم البعد معلوم من (أُزْلِفَتِ) إذ معنى زَلَّلَ: دنا وتقدم^(١٥).

وبعد عرض - أحسبه سريعاً - للإطناب والتأكيد تظهر لنا الصلة الوثيقة بالبدهيات ومن ثم صلة هذه الأخيرة بالبلاغة.

-
- | | |
|--|---------------------------------|
| (١) سورة المزمل: الآية ٨ | (٢) الاتقان: السويطي ج ٢ ص ٦٦. |
| (٣) سورة نوح: الآية ٨. | (٤) البرهان: الزركشي ج ٢ ص ٣٩٤. |
| (٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٢. | (٦) سورة آل عمران: الآية ٣٧. |
| (٧) سورة التوبة: الآية ١١١. | (٨) سورة المعارج: الآية الأولى. |
| (٩) البرهان: الزركشي ج ٢ ص ٣٩٨-٣٩٩. | |
| (١٠) البرهان: الزركشي ج ٢ ص ٤٠٢ والإتقان للسيوطي ج ٢ ص ٦٦. | |
| (١١) سورة مريم: الآية ٣٣. | |
| (١٢) سورة العنكبوت: الآية ٧٦. | |
| (١٣) المعجم الوسيط: ج ٢ ص ٥٩٠ - مادة (عثا). | |
| (١٤) سورة ق: الآية ٣١. | |
| (١٥) المعجم الوسيط: ج ١ ص ٣٩٩ مادة (زلف). | |

أنواع البدهيات

أشرت في تعريف البدهيات إلى انقسامها من حيث المصدر إلى قسمين ونحن هنا لا نقصد هذا المعنى وإنما نقصد أنواعها من حيث هي بَدَهِيَّةٌ .

ولا أدعي أنَّ هذا التقسيم حاصرٌ إذ هو ليس إلا محض اجتهاد ممن قَصُرَ باعُهُ في قضية تحتاج إلى جلاء وبيان، وتمعن وتفكير، واستقصاء وشمول، فَلَعَلِّي أذكر ما توصلتُ إليه وإنَّ قَلَّ .

بعد استقراء أو شبه استقراء أرى أنَّ البدهيات تنقسم إلى أنواع ثلاثة :

- الأول : بدهية حسابية .

- الثاني : بدهية لغوية .

- الثالث : بدهية عادية .

وسأتناول هذه الأنواع الثلاثة مُعَرِّفًا وَمُمَثِّلًا لكل نوع بإذن الله تعالى .

النوع الأول البدئية الحسابية

وتنقسم إلى قسمين:

القسم الأول

فذلكة^(١) عديدين مذكورين تفصيلاً يُدركُ العقلُ مجموعَهما من فوره ولا يحتاج إلى ذكرٍ مجموعهما. وفي القرآن من هذا النوع آيتان الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿مَنْ لَمْ يَحْذِفْهُ فَإِنَّهَ لَفِي لَهَجٍ وَسَّعَةٍ إِذَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِ بَيْتِهِ لَيَعْلَمَنَّ إِنَّهَ لَمِنَ الْمُنَافِقِينَ﴾^(٢)، فقوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ جمع للثلاثة والسبعة وهي نتيجة يدركها العقل لأول وهلة من غير أن يحتاج إلى أن تُجمع له لُيُسَرِّها وقُرْبِها إلى الذهن.

وقد يُسأل عن الحكمة في إظهارها مع ظهورها؟ وللعلماء في بيان هذه الحكمة أقوال كثيرة فاضت قرائحهم في جلائها وتنافسوا في إبرازها والمصيبُ فيهم وإن اختلفوا غيرُ واحد، بل قد يكون الصواب حليفهم جميعاً فإن الآية الواحدة قد تجمع وجوهاً بلاغيةً مختلفة، لأن الأوجه البلاغية لا تتراحم. ولن نستوعب الأقوال كلها فلتقتصر على أبرزها فمنها:

(١) فَذَلِكَ الْحِسَابُ: أنهاء وفرغ منه، وهي منحوتة من قوله إذا أجمل حسابه فذلك كذا وكذا (الفذلكة) مُجَمَّل ما فُضِّل وخلاصته «المعجم الوسيط» ج ٢ ص ٦٨٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٦.

١ - جوابُ الزمخشري: «فإن قلت: فما فائدة الفذلكة (قلتُ) الواو قد تجيء للإباحة نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين، ألا ترى أنه لو جالسهما جميعاً أو واحداً منهما كان ممثلاً، ففُذِّلَتْ نفيّاً لتوهم الإباحة»^(١).

وتعقبه أبو حيان في تفسيره فقال: «وفيه نظر لأنه لا تتوهم الإباحة هنا، لأن السياق إنما هو سياق إيجاب وهو ينافي الإباحة ولا ينافي التخيير لأن التخيير قد يكون في الواجبات»^(٢).

٢ - ونقله أبو حيان في تفسيره عن أبي الحسن علي بن أحمد الباذش ووصفه بأنه أحسن الأقاويل فقال: «أتى بعشرة توطئة للخبر بعدها لا أنها هي الخبر المستقل به فائدة الإسناد فجيء بها للتوكيد كما تقول: زيد رجل صالح»^(٣). أي أنَّ أتيانك بلفظ (رجل) للتوصل بها إلى وصفه بالصلاح وكذا جاءت كلمة (عشرة) توطئة لوصف الثلاثة والسبعة بالكمال.

٣ - ونقل الزمخشري^(٤) وأبو حيان^(٥) عن ابن عرفة قوله: «مذهب العرب إذا ذكروا عددين أن يجملوهما» وحسّن الزمخشري هذا القول وقال:

«وفائدة الفذلكة في كل حساب أن يُعلم العدد جملة كما علم تفصيلاً ليُحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفي أمثال العرب عِلْمَان خَيْرٌ مِنْ عِلْمٍ»^(٦)

(١) الكشف: الزمخشري ج١ ص ١٢١.

(٢) البحر المحيط: أبو حيان ج٢ ص ٨٠.

(٣) المرجع السابق ج٢ - ص ٧٩ - ٨٠.

(٤) الكشف: الزمخشري ج١ ص ١٢.

(٥) البحر المحيط: أبو حيان ج٢ ص ٧٩.

(٦) البحر المحيط: أبو حيان ج٢ ص ٧٩ - ٨٠.

قال أبو حيان «قال ابن عرفة وإنما تفعل ذلك العرب لقلة معرفتهم بالحساب ثم استشهد أبو حيان لهذا بشواهد من أشعار العرب كقول الأعشى :

ثلاث بالغداة فهي حسبي وسيت حين يدركني العشاء
فذلك تسعة في اليوم ريتي وشرب المرء فوق الري داء

وقال الفرزدق :

ثلاث واثنتان وهن خمس وسادسة تميل إلى شمام
قلت: ولا يزال هذا هو السائد عند العرب وغيرهم في ذكر الأعداد في الحساب فإنهم يذكرون الأرقام مفردة ثم يكتبونها مجموعة بالأرقام ويثبِّعون ذلك كتابةً مجموعها بالحرف ثم يؤكدون الجمع بقولهم (فقط) أو (لا غير) ويفعل هذا أعرف الناس بالحساب، ولذا فلا وجه لقول ابن عرفة رحمه الله الآنف الذكر أن العرب تفعله لقلة معرفتهم بالحساب.

٤ - قول الزجاج: «جَمَعَ العددين لجواز أن يُظَنَّ أنَّ عليه ثلاثة أو سبعة، لأن الواو قد تقوم مقام أو ومنه» «مَثَّقَ وَتَلَقَّ وَرَبَّحَ»^(١).
فأزال احتمال التخيير. قال أبو حيان «وهو الذي لم يذكر ابن عطية إلا إياه وهو قول جارٍ على مذهب أهل الكوفة لا على مذهب البصريين لأن الواو لا تكون بمعنى أو»^(٢).

٥ - أنه ذكر العشرة لثلاث يتوهم أنَّ الثلاثة داخلة في السبعة فرفع ما قد يهجنس في النفس من أن المتمتع إنَّما عليه صوم سبعة أيام لا أكثر ثلاثة منها في الحج ويكمل سبعة إذا رجع^(٣). وذلك كقوله

(١) سورة النساء: الآية ٣.

(٢) البحر المحيط: أبو حيان ج٢ ص ٨٠ وانظر المحرر الوجيز: ابن عطية ج٢ ص ١٦١ - ١٦٢.

(٣) البرهان: الزركشي ج٢ ص ٤٨٠ والبحر المحيط: أبو حيان ج٢ ص ٨٠.

تعالى: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(١). فإنها داخلة في الأربعة أيام بعدها
﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾^(١).

٦ - وقيل هو تقديم وتأخير تقديره فتلك عشرة: ثلاثة في الحج
وسبعة إذا رجعتم وعزى هذا القول إلى أبي العباس المبرد، قال أبو
حيان^(٢): ولا يصح مثل هذا القول عنه، ونزله القرآن عن مثله، وقال
الزركشي، وهذا وإن كان خلاف الأصل لكن الإشكال ألجأنا إليه^(٣).

(قلت): ولا يصح القول أن الإشكال يلجؤنا إلى مثل هذا إذ إن
لذلك وجوهاً كثيرة أسلم منه وأصح فلا ضرورة للجوء إليه. ولا
إشكال يُحوجنا إليه.

٧ - وقيل ذكر العشرة لثلاث يتوه أن العدد سبعة لا يُراد بها العدد
نفسه، بل الكثرة، فقد روى أبو عمرو بن العلاء وابن الأعرابي عن
العرب سَبْعَ الله لك الأجر أي أكثر ذلك، يريدون التضعيف وقال
الأزهري في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾^(٤). هو جمع
السبع الذي يستعمل للكثرة.

وإذا كان ذلك كذلك فاحتمل أن يُتوهم أن المراد بالسبع ما هو
أكثر من السبع - فيجب حينئذ رفع هذا الاحتمال بذكر الفذلكة، قال
الزركشي وللعرب مستند قوي في إطلاق السبع والسبعة وهي تريد
الكثرة.

وهناك أقوال أخرى كثيرة لا أريد الإطالة بذكرها ويكفي منها ما

(١) سورة فصلت: الآيتين ٩ - ١٠.

(٢) البحر المحيط: ج ٢ ص ٨٠.

(٣) البرهان: الزركشي ج ٢ ص ٤٨٠.

(٤) البحر المحيط: أبو حيان ج ٢ ص ٨٠، البرهان: الزركشي ج ٢ ص ٤٨١.

ذكرت، وقد ختم أبو حيان ما أورده من توجيهات بقوله: «وبهذه الفوائد التي ذكرناها ردُّ على الملحدين في طعنهم بأن المعلوم بالضرورة أنَّ الثلاثة والسبعة: عشرة فهو إيضاح للواضحات»^(١).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِمِثْرِ قَتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(٢).

فقوله تعالى: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ فذلكة العددين ثلاثين ليلة وعشر، وكل أحد يعلم أنَّ الثلاثين مع العشرة تكون أربعين^(٣). وللعلماء في توجيه ذلك عدة أقوال منها:

١ - قال أبو حيان في تفسيره «والذي يظهر أنَّ هذه الجملة تأكيد وإيضاح»^(٤) وكذا قال أبو يحيى زكريا الأنصاري «فائدته التوكيد»^(٥). وقال الرازي: «فيه فوائد إحداها التأكيد»^(٦).

٢ - ومن فوائده إزالة التوهم أن تكون العشر من نفس الثلاثين فلما ذكر الأربعين زال الإبهام^(٧) لأنه يحتمل أتمناها بعشر من الثلاثين كأنه كان عشرين ثم أتمه بعشر فصار ثلاثين فأزال هذا الإيهام^(٨) بأن

(١) البحر المحيط: أبو حيان ج٢ ص ٨٠.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.

(٣) الروض الريان: شرف الدين بن ريان ج١ ص ٦٧ وتفسير الرازي ج٤ ص ٢٢٦.

(٤) البحر المحيط: ج٤ ص ٣٨١.

(٥) فتح الرحمن بكشف ما يلبس في القرآن: أبو يحيى زكريا الأنصاري ص ٢٠٧.

(٦) مسائل الرازي وأجوبتها: محمد بن أبي بكر الرازي ص ٩٩.

(٧) الروض الريان: بن ريان ج١ ص ٦٧.

(٨) تفسير الرازي ج٤ ص ١٤٦ والبحر المحيط ج٤ ص ٣٨١ ومسائل الرازي، وأجوبتها ص ٩٩ وفتح الرحمن ص ٢٠٧.

الإتمام إلى الثلاثين وبين أنه إلى الأربعين.

٣ - ومن فوائده إزالة توهم أن تكون عشر ساعات أي أتممنها بعشر ساعات^(١).

٤ - ومن فوائده إزالة اللبس في دخول العشر في المواعدة إذ إن النص في المواعدة على الثلاثين وأنت العشر بعدها فدخلها الاحتمال أن تكون من غير المواعدة فأعاد ذكر الأربعين نفيًا لهذا الاحتمال وليعلم أن جميع العدد للمواعدة^(٢).

هذه بعض توجيهات العلماء لهذه البدهية وبه يظهر وجه من أوجه البلاغة القرآنية.

(١) البحر المحيط: ج٤ ص ٣٨١ ومسائل الرازي ص ٩٩ وفتح الرحمن ص ٢٠٧.

(٢) البرهان للزركشي: ج٣ ص ٤٧٨.

القسم الثاني من البدهية الحسابية

ونريد به: ذكر عددین منسویین إلى بعضهما ثم ذكر عددین
آخرین بنفس النسبة بحيث یغنی ذکر الأولى عن الثانية وتكون الثانية
بدھية للأولى.

وظھر لی من هذا النوع في القرآن آیتان هما:

- الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبَرُوا وَيَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ
مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۝٦٥﴾ أَلَكُنْ
خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا
مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ^(١).

فقوله: ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا﴾ فهم مضمونه مما
قبله، وكذا قوله بعد التخفيف ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾
مفهوم من قوله قبله: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ وقد
أشار بعض المفسرين إلى حكمة ذلك:

١ - فقل إنه لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمئنان قال أبو
السعود: وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا﴾ مع

(١) سورة الأنفال: الآيتين ٦٥ - ٦٦.

انفهام مضمونه مما قبله لكون كل منهما عِدَّة بتأييد الواحد على العشرة
لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمئنان على أنه قد يجري بين الجمعين
القليلين ما لا يجري بين الجمعين الكثيرين مع أن التفاوت فيما بين
كل من الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة فَبَيَّنَ أَنَّ ذلك لا
يتفاوت في الصورتين»^(١).

٢ - وقريب من هذا المعنى ما ذهب إليه محمد بن أبي بكر
الرازي والزمخشري وأبو يحيى الأنصاري حيث قال الأول: «فإن قيل
ما فائدة تكرار المعنى الواحد في مقاومة الجماعة لأكثر منها قبل
التخفيف وبعده في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَاعِدُونَ يَفْلِحُوا
وَأَمَّا ثَمَانِيَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ قلنا: فائدته الدلالة على أن
الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت، بل كما ينصر الله تعالى
العشرين على المائتين ينصر المائة على الألف، وكما ينصر المائة
على المائتين ينصر الألف على الألفين»^(٢). وقال نحو ذلك
الزمخشري^(٣). وأبو يحيى الأنصاري^(٤) والشوكاني^(٥).

٣ - وقيل إن التكرار لمطابقة الواقع في عدد السرية والغزوة في
ابتداء الإسلام وبعد اتساع نطاقه.

وذهب إليه أبو حيان حيث قال: ومناسبة هذه الأعداد أن فرضية
الثبات أو ندبيته كان أولاً في ابتداء الإسلام فكان العشرون تمثيلاً
للسرية والمائة تمثيلاً للجيش فلما اتسع نطاق الإسلام وذلك بعد زمان

(١) إرشاد العقل السليم: أبي السعود العمادي ج٤ ص ٣٤.

(٢) مسائل الرازي وأجوبتها: محمد بن أبي بكر الرازي ص ١١٠.

(٣) الكشف: الزمخشري ج٢ ص ١٣٤.

(٤) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: أبو يحيى زكريا الأنصاري ص ٢٢٣.

(٥) فتح القدير: الشوكاني ج٢ ص ٣٢٤.

كان المائة تمثيلاً للسرايا والألف تمثيلاً للجيش»^(١).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾^(٢).

فقوله: ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ معلوم من قوله سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، فهذا يغني عن ذاك وقد علَّل المفسرون ذلك:

١ - أنَّ الآية نزلت في قوم من المنافقين اجتمعوا على التناجي مغايظة للمؤمنين وكانوا على هذين العددين (ثلاثة وخمسة)^(٣).

٢ - أنَّ العدد الفرد أشرف من الزوج لأن الله تعالى وتر يحب الوتر^(٤). وأقل عدد وتر يكون بينه مناجاة هو الثلاثة ثم الخمسة.

٣ - أنه قصد أن يذكر ما جرت عليه العادة من أعداد أهل النجوى والمتخالين للشورى والمندوبون لذلك ليسوا بكل أحد وإنما هم طائفة مجتبة من أولي النهى والأحلام ورهط من أهل الرأي والتجارب وأول عددهم الاثنان، فصاعداً إلى خمسة إلى ستة إلى ما اقتضته الحال وحكم الاستصواب^(٥).

وهناك أقوال أخرى^(٦) يغني عنها ما ذكرته.

(١) البحر المحيط: أبو حيان ج٤ ص ٥١٧.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٧.

(٣) الكشف: ج٤ ص ٧٤، والبحر المحيط ج٨ ص ٢٣٥، التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور ج٨ ص ٢٦ مسائل الرازي: ص ٣٣٩، الروض الريان ج٢ ص ٤٧٧، فتح الرحمن: ص ٥٥٥.

(٤) الروض الريان: ج٢ ص ٤٧٧ وفتح الرحمن: ص ٥٥٥.

(٥) الكشف: ج٤ ص ٧٤.

(٦) انظر الروض الريان: ج٢ ص ٤٧٧.

النوع الثاني البدهية اللغوية

وأقصد بها البدهية الدالّ على بدهيتها المدلول اللغوي لكلمة أو جملة سابقة والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها:

١ - قوله تعالى: ﴿أَو كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾^(١).

قال في لسان العرب الصَّوْبُ نزول المطر، ثم قال والصَّيْبُ السحاب ذو الصوب وقال أبو إسحاق الصيب هنا المطر^(٢) وقال أبو حيان: «الصيب المطر.. والسحاب أيضاً»^(٣).

(قلت): وسواء كان الصَّيْبُ المطر أو السحاب فإنّ من المعلوم أنّهما من السماء فما الفائدة من قوله: ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وهو معلوم من المدلول اللغوي لكلمة (صيّب) وللعلماء في ذلك أقوال منها:

١ - قال الزمخشري: (فإن قلت) قوله: ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون إلا من السماء، (قلت) الفائدة فيه أنه جاء بالسماء مُعَرِّفَةً فنفي أن يتصوب من سماء أي من أفقٍ واحد من بين سائر الآفاق لأن كل أفق من آفاقها سماء كما أنّ كل طبقة من الطباق

(١) سورة البقرة: الآية ١٩.

(٢) لسان العرب: مادة صوب ج١ ص ٥٣٤.

(٣) البحر المحيط: أبو حيان ج١ ص ٨٣.

سما في قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾^(١).. والمعنى أنه غمام مطبق آخذ بأفاق السماء^(٢).

وقد ضَعَفَهُ ابنُ عاشور في تفسيره واستبعده معللاً ذلك بأنه لم يُعهد دخول لام الاستغراق إلا على اسم كليّ ذي أفرادٍ دون اسم كلّ ذي أجزاء فيحتاج لتزليل الأجزاء منزلةً أفراد الجنس ولا يُعرف له نظير في الاستعمال^(٣).

٢ - وهو ما ذهب إليه ابن عاشور بعد استبعاده للقول السابق حيث قال: «فالذي يظهر لي إن جَعَلْنَا قَوْلَهُ: ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ قيداً للصيّب أنّ المراد من السماء أعلى الارتفاع، والمطر إذا كان من سَمْتٍ مقابل وكان عالياً كان أدوم بخلاف الذي يكون من جوانب الجو ويكون قريباً من الأرض غير مرتفع»^(٤).

٣ - وهو أيضاً لابن عاشور حيث قال: «والظاهر أن قوله من السماء ليس بقيد للصيب وإنما هو وصف كاشف جيء به لزيادة استحضر صورة الصيب في هذا التمثيل إذ المقام مقام إطناب كقول امرئ القيس:

كجلمود صخر حطه السيل من علٍ

إذ قد عَلِمَ السامعُ أنّ السيلَ لا يحط جلمودَ صخرٍ إلا من أعلى ولكنه أراد التصوير»^(٥).

(١) سورة فصلت: الآية ١٢.

(٢) الكشف: الزمخشري ج١ ص٤١ وانظر مسائل الرازي وأجوبتها: ص٤.

(٣) التحرير والتنوير: محمد الظاهر بن عاشور ج١ ص٣٠٤.

(٤) التحرير والتنوير: ابن عاشور ج١ ص٣٠٤.

(٥) المرجع السابق: ج١ ص٣٠٣.

٤ - وهو رأي للآلوسي فبعد أن ذكر ما أوردناه أولاً قال: «وعندي أن الذكر (يعني ذكر السماء) يحتمل أن يكون أيضاً للتهويل والإشارة إلى أن ما يؤذيهم جاء من فوق رؤسهم، وذلك أبلغ في الإيذاء كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(١). وكثيراً ما نجد أنَّ المرءَ يعتني بحفظ رأسه أكثر مما يعتني بحفظ سائر أطرافه حتى إن المستطيع من الناس يتخذ طيلساناً لذلك»^(٢).

(قلتُ): ولا يمنع من اعتقاد صحة هذه الأقوال جميعاً فذكر السماء بعد ذكر الصيب فيه إشارة إلى نزوله من آفاق السماء ومن ارتفاع وهو وصف كاشف لزيادة استحضار الصورة وبيان أن العذاب جاء من فوق رؤوسهم فهي معاني لا تعارض بينها. وبلاغة القرآن قد تدل عليها وعلى ما هو أكثر منها وهكذا كلما كشفت طائفة وجهاً بلاغياً انكشف لطائفة أخرى وجه آخر يُعلن للناس أنَّ بلاغة القرآن متجددة وأن معينها لا ينضب.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٣). وقوله: (مفسدين) بدهية لغوية إذ يدل عليه المدلول اللغوي لقوله: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا﴾ والعثو أشد الفساد^(٤) فكانه قال: ولا تفسدوا في الأرض مفسدين.

وقد أجاب الرازي في مسائله بأن معناه ولا تعثوا في الأرض بالكفر وأنتم مفسدون بسائر المعاصي^(٥).

(١) سورة الحج: الآية ١٩.

(٢) روح المعاني: الآلوسي ج١ ص ١٧١.

(٣) سورة البقرة: الآية ٦٠.

(٤) الكشف: الزمخشري ج١ ص ٧٢ تفسير البسيط: الواحدي ج٣ ص ٩٥٧.

(٥) مسائل الرازي وأجوبتها: ص ٥.

ومنهم من تحاشى ذلك ففسر العثو بغير الفساد فنقل أبو حيان عن ابن عباس وأبي العالية معناه ولا تسعوا وقال قتادة ولا تسيروا... وقيل معناه لا تخالطوا المفسدين وقيل معناه لا تتمادوا في فسادكم وقيل لا تطغوا^(١).

وقد أشار ابن عاشور إلى علة أخرى لتفسير العثو بمعنى غير الفساد حيث قال: «وفي الكشف جعل معنى لا تعثوا لا تتمادوا في فسادكم فجعل المنهي عنه هو الدوام على الفعل وكأنه يأبى صحة الحال المؤكدة للجملة الفعلية فحاول المغايرة بين «لا تعثوا» وبين «مفسدين» تجنباً للتأكيد وذلك هو مذهب الجمهور لكن كثيراً من المحققين خالف ذلك واختار ابن مالك التفصيل فإن كان معنى الحال هو معنى العامل جعلها شبيهة بالمؤكدة لصاحبها كما هنا، وخص المؤكدة لمضمون الجملة الواقعة بعد الاسمية نحو زيد أبوك عطوفاً^(٢).

وقد اختار ابن عاشور نفسه أن «مفسدين» حال مؤكدة لعاملها^(١).

٣ - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَازَهُبُونَ﴾^(٣).

والبدئية هنا أن كلمة (إلهين) مثنى وهو يدل على التثنية ومع هذا قال بعده (اثنين) وقد جلا الزمخشري في كشافه الوجه البلاغي لهذا الأسلوب فقال: (فإن قلت) إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا: عندي رجال ثلاثة، وأفراس أربعة لأن

(١) البحر المحيط أبو حيان ج ١ ص ٢٣١.

(٢) التحرير والتنوير: ابن عاشور ج ١ ص ٤٩٨.

(٣) سورة النحل: الآية ٥١.

المعدود عارٍ عن الدلالة على العدد الخاص وأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة إلى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله: «إلهين اثنين» (قلت): الاسم الحامل لمعنى الأفراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص، فإذا أُريدت الدلالة على أن المَعْنَى به منهما والذي يُساق إليه الحديث هو العدد شُفِعَ بما يُؤكدُه فدل به على القصد إليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت: إنما هو إله ولم تؤكدُه بواحد لم يحسن، وخيل إنك تثبت الإلهية لا الوجدانية»^(١).

وذكر الرازي وجوهاً مختلفة لذلك مال إلى أحدها فقال: «الأقرب عندي أن الشيء إذا كان مستكراً مستقبحاً، فمن أراد المبالغة في التنفير عنه بعبارات كثيرة ليصير توالي تلك العبارات سبباً لوقوف العقل على ما فيه من القبح» ثم ذكر قولاً آخر هو: «أنَّ قوله: «إلهين» لفظ واحد يدل على أمرين: ثبوت الإله، وثبوت التعدد، فإذا قيل لا تتخذوا إلهين، لم يعرف من هذا اللفظ أنَّ النهي وقع عن إثبات الإله أو عن إثبات التعدد أو مجموعهما فلما قال: (لا تتخذوا إلهين اثنين) ثبت أن قوله (لا تتخذوا إلهين) نهى عن إثبات التعدد فقط»^(٢). وذكر وجوهاً أخرى يكفي عنها ما ذكرناه.

٤ - قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾^(٣). ومن المعلوم أنَّ السقف لا يخر إلا من فوق وأجاب الرازي على هذا القول: «وجوابه من وجهين: الأول: أن يكون المقصود التأكيد، والثاني: ربما خَرَّ السقف ولا يكون تحته أحد فلما قال: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ

(١) الكشف: الزمخشري: ج ٢ ص ٣٣١ - ٣٣٢.

(٢) التفسير الكبير: الرازي ج ٢٠ ص ٤٧ - ٤٨.

(٣) سورة النحل: الآية ٢٦.

أَلَسَقُفْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴿ دَلَّ هذا الكلام على أنهم كانوا تحته، وحينئذ يفيد هذا الكلام أَنَّ الأبنية قد تهدمت وهم ماتوا تحتها^(١). وقال بهذا أبو حيان في تفسيره^(٢).

٥ - قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾^(٣).

والإسراء من السرى كالهدى وهو سير عامة الليل^(٤) وإذا كان الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل هنا.

وقف كثير من المفسرين عند هذا المعنى وكأنهم اتفقوا على التعليل بأنه أراد بقوله ليلًا بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء وأنه أسري به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة^(٥).

ومال ابن عاشور في تحريره إلى أنه ذكر الليل للتوسل بذكره إلى تنكيره المفيد للتعظيم. فتنكير «ليلاً» للتعظيم بقرينة الاعتناء بذكره مع علمه من فعل «أَسْرَى» وبقرينة عدم تعريفه، أي هو ليلٌ عظيم باعتبار جعله زمناً لذلك السرى العظيم فقام التنكير هنا مقام ما يدل على التعظيم، ألا ترى كيف احتيج إلى الدلالة على التعظيم بصيغة خاصة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝﴾^(٦). إذ وقعت ليلة القدر غير منكورة^(٧).

(١) التفسير الكبير: الرازي ج ٢٠ ص ٢٠.

(٢) البحر المحيط: أبو حيان ج ٥ ص ٤٨٥.

(٣) سورة الإسراء: من الآية الأولى.

(٤) القاموس المحيط: الفيروز آبادي ص ١٦٦٩ مادة السرى.

(٥) الكشف ج ٢ ص ٣٥٠ والتفسير الكبير: الفخر الرازي ج ٢٠ ص ١٤٦ ومسائل الرازي: محمد بن أبي بكر الرازي ص ١٨٢ والبحر المحيط ج ٦ ص ٥ والروض الريان: ج ١ ص ٢٠٧.

(٦) سورة القدر: الآيتان ١ - ٢.

(٧) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور ج ١٥ ص ١١ - ١٢.

ومنهم من قال: إِنَّ ذَكَرَ اللَّيْلَ عَلَى سَبِيلِ التَّأْكِيدِ^(١).

وذكر الفيروز آبادي قولاً لم أجد من قال به سواه وهو أن المراد بأسرى بعبدته سَيِّره^(٢) أي سَيِّره ليلاً.

ومع كثرة القائلين بالأول إلا أنا نجد أحمد بن المنير قد تعقب الزمخشري فيما ذهب إليه من أن ذكر الليل بلفظ التنكير لتقليل مدة الإسرائ فقال: «وقد قرن الإسرائ بالليل في موضع لا يليق الجواب عنه بهذا كقوله: ﴿فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾^(٣). وكقوله تعالى: ﴿فَأَسْرَ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾^(٤). فالظاهر والله أعلم أن الغرض من ذكر الليل، وإن كان الإسرائ يفيد تصوير السير بصورته في ذهن السامع وكأن الإسرائ لما دل على أمرين أحدهما السير والآخر كونه ليلاً أريد إفراد أحدهما بالذكر تثبيتاً في نفس المخاطب وتنبيهاً على أنه مقصود بالذكر»^(٥).

ولعل فيما ذكرته من أمثلة - وهي قليل من كثير - ما يغني ويكفي في بيان هذا النوع من البدهيات.

وإني لأعتقد أنه لو تصدى أحد لجمع البدهيات اللغوية في القرآن الكريم ودرسها دراسة بلاغية شاملة لجاءت في رسالة علمية عالية جد مفيدة.

(١) البحر المحيط ج ٦ ص ٥ والقاموس المحيط: ص ١٦٦٩، والتحرير والتنوير ج ١٥ ص ١١ وقد علّق على هذا بقوله: «على أن الإفادة كما يقولون خير من الإعادة» وفي هذا إيحاء إلى ترجيح القول الأول.

(٢) القاموس المحيط: الفيروز آبادي ص ١٦٦٩.

(٣) سورة هود: الآية ٨١، والحجر: الآية ٦٥.

(٤) سورة الدخان: الآية ٢٣.

(٥) الانتصاف: أحمد بن المنير حاشية الكشف للزمخشري ج ٢ ص ٧٥٠.

النوع الثالث البديهية العادية

فقد تدل جُملة في آية قرآنية على أمر بدهي لا يختلف فيه اثنان، أو تكون الجملة الثانية معلومة قطعاً من الجملة الأولى بحيث توجب العادة ذلك.

وبهذا يظهر أن البداهة هنا قد تكون في جملة واحدة وقد تكون في جملتين.

ويظهر أيضاً نوعٌ من التداخل في بعض البدهيات من هذا النوع مع البديهية اللغوية وذلك أن بدھيتها وإن كانت راجعة إلى العادة، فإن اللغة قد صبغتها بصبغتها فهي بدھية عادية لغوية فمثلاً في قوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَيِّبًا﴾^(١). فمن المعلوم لغة وعادة أنَّ كل أحد كان في المهد صيباً.

وقد بذلتُ ما في وسعي لتصور تقسيم لهذا النوع من البدهيات فظهر لي ما أدركُ أنَّه بحاجة إلى زيادة استيعاب واستقصاء وإعادة فكر، وتقليب نظر وما أرسمه على كل حال ليس إلا خطوة في طريق جديد وطويل أما ما ظهر لي من الأقسام فهي:

- القسم الأول: الجمع بين الشيء ولازمه.

(١) سورة مريم: آية ٢٩.

- القسم الثاني : الجمع بين الشيء وآلته .
 - القسم الثالث : إثبات الشيء ونفي نقيضه .
 - القسم الرابع : الأمر بالشيء والنهي عن نقيضه .
 - القسم الخامس : الجملة الخبرية القطعية الثبوت .
- وسأكتفي هنا بذكر مثال واحد لكل قسم منها :

القسم الأول الجمع بين الشيء ولازمه

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(١).

فمن المعلوم أنَّ قتل النبيين لا يكون بحق مطلقاً فمن لازم يقتلون النبيين أن يكون بغير الحق، إذ لا يجوز أن يُقتل نبي بحق أبداً^(٢).

فقليل: معناه بغير الحق في اعتقادهم، ولأن التصريح بصفة فعلهم القبيح أبلغ في ذمهم، وإن كانت تلك الصفة لازمة للفعل كما في عكسه كقوله: ﴿قُلْ رَبِّ أَعْمُرْ بِالْحَقِّ﴾^(٣) لزيادة معنى في التصريح بالصفة، كذا قال الرازي في مسائله^(٤) وقال بنحوه الزمخشري^(٥) وأبو حيان^(٦) والآلوسي^(٧) وابن عاشور^(٨) وعلى هذا فاللام عندهم في (الحق) للعهد.

وقيل إنها للجنس والمراد بغير حق أصلاً لأن لام الجنس المبهم

-
- (١) سورة البقرة: الآية ٦١.
 - (٢) تفسير البسيط: الواحد ج ٣ ص ٩٧٧.
 - (٣) سورة الأنبياء: الآية ١١٢.
 - (٤) مسائل الرازي وأجوبتها: محمد بن أبي بكر الرازي ص ٦.
 - (٥) الكشف: ج ١ ص ٧٢.
 - (٦) البحر المحيط: ج ١ ص ٢٣٧.
 - (٧) روح المعاني: الآلوسي ج ١ ص ٢٧٦.
 - (٨) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور ج ١ ص ٥٠٨.

كالنكرة ويؤيده ما في آل عمران «بغير حق» فيفيد أنه لم يكن حقاً
باعتقادهم أيضاً قال بهذا الآلوسي وقال إنه الأظهر^(١). وقيل قوله:
«بغير حق» تأكيد لأن قتل النبيين لا يكون إلا بغير حق، فهو كقوله:
«القلوب التي في الصدور»^(٢). «وطائر يطير بجناحيه»^(٣) وأمثاله^(٤).

-
- (١) روح المعاني: للآلوسي ج ١ ص ٢٧٦.
(٢) سورة الحج: الآية ٤٦.
(٣) سورة الأنعام: الآية ٣٨.
(٤) تفسير البسيط: الواحدي: ج ٣ ص ٩٧٧.

القسم الثاني الجمع بين الشيء وآلته

كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَسْأَلُكُمْ﴾ (١).

وكل طائر إنما يطير بجناحيه فهما آلة طيرانه التي لا يطير بدونهما فما الفائدة إذا من ذكر الجناحين؟

قال بعضهم إن ذكر الجناحين للتأكيد كقولهم نعمة أنثى وكما قال: كلمته بقمي ومشيت إليه برجلي (٢).

وقيل فائدة ذلك نفي توهم المجاز فإنه يقال طار فلان في أمر كذا إذا أسرع فيه، وطار الفرس إذا أسرع الجري.

قال أبو حيان ألا ترى إلى استعارة الطائر للعمل في قوله: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ (٣). وقولهم طار لفلان كذا في القسمة أي سهمه، وطائر السعد والنحس وفيه تنبيه على تصور هيئته على حالة الطيران. واستحضار لمشاهدة هذا الفعل الغريب «فجاء ذكر

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(٢) البحر المحيط: ج٤ ص ١١٩ وتفسير الرازي: ج١٢ ص ٢١٢ ومسائل الرازي ص ٨٤، والروض الريان: ج١ ص ٤٦.

(٣) سورة الإسراء: الآية ١٣.

الجناحين ليتمحض هذا الكلام في الطير^(١).
ومن فوائد ذكر الجناحين زيادةُ التعميم والإحاطة كأنه قال جميع
الطيور الطائفة^(٢).

(١) البحر المحيط ج٤ ص ١١٩ وانظر تفسير الرازي ج١٢ ص ٢١٢ ومسائل الرازي ص ٨٥ وفتح
الرحمن بتفسير القرآن: العلّيمي ص ٧٦ وتلخيص تبصرة المتذكر: الحواشي ج١ ص ٤٢.
(٢) مسائل الرازي وأجوبتها: ص ٨٥ والكشاف: ج٢ ص ١٢ - ١٣.

القسم الثالث

إثبات الشيء ونفي نقيضه

ومثاله قوله تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾^(١) فإن الموت والحياة متضادان لا يرتفعان معاً ولا يلتقيان فنفي أحدهما إثبات للآخر، وعلى هذا يكفي وصفهم بأنهم أموات لنعلم أنهم غير أحياء إلا أنه هنا نفي الحياة وهو معلوم من وصفهم أولاً بالموت.

وفائدة ذلك بيان أنها أموات لا يعقب موتها حياة احترازاً عن أموات يعقب موتها حياة كالنطف والبيض والأجساد الميتة وذلك أبلغ في موتها كأنه قال: أموات في الحال غير أحياء في المآل^(٢) قال الفخر الرازي الإله هو الحي الذي لا يحصل عقيب حياته موت وهذه الأصنام أموات لا يحصل عقيب موتها الحياة^(٣).

وقال الرازي والوجه الثاني: «أَنَّ هذا الكلام مع الكفار الذين يعبدون الأوثان وهم في نهاية الجهالة والضلالة ومن تكلم مع الجاهل الغر الغبي فقد يحسن أن يُعَبَّرَ عن المعنى الواحد بالعبارات الكثيرة وغرضه منه الإعلام بكون ذلك المخاطب في غاية الغباوة وأنه إنما

(١) سورة النحل: ٢١.

(٢) مسائل الرازي: ص ١٧٢ والبحر المحيط ج ٥ ص ٤٨٢ وتفسير أبي السعود ج ٥ ص ١٠٦.

(٣) التفسير الكبير: الفخر الرازي ج ٢٠ ص ١٥ - ١٦.

يعيد تلك الكلمات لكون ذلك السامع في نهاية الجهالة وأنه لا يفهم المعنى المقصود بالعبارة الواحدة»^(١).

قلت: وفي هذا مبالغة لأن المخاطبين ليسوا على هذه الدرجة الموصوفة من الغباء وعدم الفهم بل كانوا يدركون ذلك ويفهمونه ويعلمون أنها لا تضر ولا تنفع، ولكنه التقليد الأعمى والعناد المستكبر وقد بين الله ذلك في آيات كقوله سبحانه في سورة الشعراء على لسان إبراهيم عليه السلام مخاطباً قومه حين قالوا: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَنكِفِينَ﴾ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَفْعَلُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ. فلم يثبتوا ذلك أو يدعوه بل بينوا أنه مجرد التقليد ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٢) ولعل الأصوب أن يقال إن في هذا الأسلوب تنزيلاً لهم منزلة من لا يفهم باعتبار عدم استجابتهم لنداء الحق.

ومن الأجوبة على ذلك قولهم أنه إنما قال: (غير أحياء) ليعلم أنه أراد أمواتاً في الحال لا أنها ستموت كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^{(٣)(٤)}.

(١) التفسير الكبير: الفخر الرازي ج ٢٠ ص ١٦.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٧١ - ٧٤.

(٣) سورة الزمر: الآية ٣٠.

(٤) أسئلة الرازي وأجوبتها: ص ١٧٢.

القسم الرابع الأمر بالشيء والنهي عن نقيضه

وذلك كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (١).

فالبيان يضاد الكتمان فلما أمر بالبيان كان الأمر به نهياً عن الكتمان فما الفائدة في ذكر النهي عن الكتمان بعد الأمر بالبيان؟
ذكر العلماء وجوهاً لهذا منها:

أن المراد من البيان ذكر تلك الآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ من التوراة والإنجيل، والمراد من النهي عن الكتمان أن لا يلقوا فيها التأويلات الفاسدة والشبهات المعطلة (٢).

وقيل معناه لتبينه في الحال وتداومون على ذلك البيان ولا تكتُمونه في المستقبل (٣).

وقيل إن الضمير الأول للكتاب والثاني لنعت النبي ﷺ وذكره فإنه قد سبق ذكر النبي ﷺ قبيل هذا (٤).
وقيل: فائدته التأكيد (٥).

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٧.

(٢) التفسير الكبير: الفخر الرازي ج ٩ ص ١٣٠.

(٣) مسائل الرازي ص ٣٩ وفتح الرحمن ص ١٠٢.

(٤) مسائل الرازي: ص ٣٩.

(٥) المرجع السابق وفتح الرحمن ص ١٠٢.

القسم الخامس

الجملة الخبرية القطعية الثبوت

ونريد بها الجملة التي تفيد معلومة لا يختلف فيها اثنان ولا تحتاج إلى تقرير وتبقى الحكمة في إيرادها.

وذلك كقوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾^(١). وذلك أنه من المعلوم قطعاً أنَّ الرسول ﷺ لم يكن حاضراً معهم فما فائدة هذا الإخبار؟.

قلنا إنَّ معرفة الحوادث لا تكون إلا بطرق أربعة:

١ - القراءة.

٢ - الرواية.

٣ - المشاهدة.

٤ - الوحي.

وقد كانوا يعلمون قطعاً أنَّ الرسول ﷺ لم يكن من أهل القراءة ولا من أهل الرواية إذ لم يخالط أهل الكتاب ولم يتلق عنهم علماً، وهم ينكرون الوحي إليه ﷺ فلم يبق إلا المشاهدة وهي مستحيلة فنفاها تهكماً بهم إذ أنكروا الوحي إليه مع علمهم أنه لا قراءة له ولا

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٤.

رواية، والمقصود تحقيق كون الإخبار بهذه القصة وغيرها عن وحي على سبيل التهكم بمُنكره كأنه قيل: إن رسولنا أخبركم بما لا سبيل إلى معرفته بالعقل مع اعترافكم بأنه لم يسمعه ولم يقرأه في كتاب وتنكرون أنه وحي فلم يبق مع هذا ما يحتاج إلى النفي سوى المشاهدة التي هي أظهر الأمور انتفاءً لاستحالتها المعلومة عند جميع العقلاء ونظيره في قصة موسى ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرْنِ﴾^(١) ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ﴾^(٢) وفي قصة يوسف ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾^(٣)^(٤).

وبعد:

فلعلك تلاحظ أن ما قدمته ليس إلا إشارات سريعة لبحر واسع لعلم طريف كل جزء منه يحتاج إلى وقفة طويلة، بل وقفات ننظر فيها، ونتفكر، وتأمل ونتدبر، هذا البناء المتماسك، والصرح العظيم، الذي لا نرى فيه عوجاً ولا أمتاً، ما أجمله، وما أبدعه، وما أعظمه، ذلكم أنه كلام العزيز الخبير الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وإنها لدعوة أوجهها إلى من آتاه الله علماً واسعاً وفهماً ثاقباً في البلاغة وأسرارها أن يخصوص عباب هذا البحر فيستخرج لنا من كنوزه ويكشف لنا عن درر من درره ويكفي هذا البحث شرف هذه الدعوة والله المستعان.

(١) سورة القصص: الآية ٤٤.

(٢) سورة القصص: الآية ٤٦.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٢.

(٤) روح المعاني: للآلوسي ج٣ ص ١٥٨ وانظر الكشف ج١ ص ١٨٩ والبحر المحيط ج٢ ص ٤٥٨ ومسائل الرازي ص ٣٢ وفتح الرحمن ص ٨٨.

المصادر والمراجع

- ١ - الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، الطبعة الثانية ١٣٤٣هـ المطبعة الأزهرية بمصر.
- ٢ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: (تفسير أبي السعود) أبي السعود محمد بن محمد العمادي الناشر دار المصحف - الأزهر.
- ٣ - الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال: ناصر الدين أحمد بن منير، بذيل تفسير الكشاف: للزمخشري - دار الباز - مكة المكرمة.
- ٤ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: أبو محمد عبد الله بن هشام - الطبعة الخامسة ١٣٨٦هـ المكتبة التجارية الكبرى - بمصر.
- ٥ - الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني - دار الجيل - بيروت.
- ٦ - البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي - الطبعة الثانية - ١٤٠٣هـ - دار الفكر.
- ٧ - البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الثالثة - دار الفكر - ١٤٠٠هـ.
- ٨ - البسيط: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي - تحقيق د. محمد بن صالح الفوزان (رسالة دكتوراه) ١٤٠٩هـ قدمت إلى كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. (الفاحة والبقرة حتى آية (٧٤).
- ٩ - بيان إعجاز القرآن: أبو سليمان الخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر.
- ١٠ - البيان والتبيين: الجاحظ - الشركة اللبنانية للكتاب - ١٩٦٨م.
- ١١ - التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور الطبعة الأولى - ١٣٨٤هـ - عيسى الحلبي - القاهرة - الجزء الأول والدار التونسية والشركة الوطنية بقية الأجزاء.

- ١٢ - التذكرة في القراءات: أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون تحقيق د. عبد الفتاح بحيري - الطبعة الثانية ١٤١١هـ الزهراء للإعلام العربي - القاهرة.
- ١٣ - التعريفات: علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني تحقيق د. عبد المنعم الحنفي - دار الرشاد - القاهرة.
- ١٤ - التفسير الكبير: الفخر الرازي - الطبعة الثالثة - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٥ - تلخيص تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر: لموفق الدين أبي العباس أحمد بن يوسف الكواشي - تحقيق: محمد بن إبراهيم الشيباني - رسالة ماجستير قدمت إلى كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٩هـ.
- ١٦ - ديوان أبي تمام: شرح د. شاهين عطية الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني - بيروت.
- ١٧ - ديوان البحري - تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي - الطبعة الثالثة - دار المعارف بمصر.
- ١٨ - روح المعاني: شهاب الدين الألوسي - دار إحياء التراث العربي بيروت مصورة عن الطبعة المنيرية.
- ١٩ - الروض الريان في أسئلة القرآن: شرف الدين بن ريان - تحقيق عبد الحليم السلفي مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ٢٠ - الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل - مطبعة عيسى الحلبي.
- ٢١ - الطراز: يحيى بن حمزة العلوي - مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٠هـ.
- ٢٢ - فتح الرحمن بتفسير القرآن: أبو عبد الله عبد الرحمن العليمي - تحقيق: عبد الله الليفان - رسالة ماجستير قدمت إلى كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٢٣ - فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: أبو يحيى زكريا الأنصاري - تحقيق محمد علي الصابوني - دار القرآن الكريم بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- ٢٤ - فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني - الناشر محفوظ علي - بيروت.
- ٢٥ - الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن حزم - دار المعرفة بيروت - الطبعة الثانية - ١٣٩٥هـ.

- ٢٦ - الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن - منسوب إلى ابن قيم الجوزية مكتبة الهلال - بيروت.
- ٢٧ - القاموس المحيط: الفيروز آبادي مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- ٢٨ - الكشف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري دار الباز - مكة المكرمة.
- ٢٩ - الكشف عن وجوه القراءات السبع: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي - تحقيق محيي الدين رمضان - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.
- ٣٠ - لسان العرب: ابن منظور دار صادر بيروت.
- ٣١ - المحرر الوجيز: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي - تحقيق الرحابي الفاروق وآخرين - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ يوزع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني.
- ٣٢ - مسائل الرازي وأجوبتها: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - مصطفى الحلبي وأولاده بمصر - الطبعة الأولى ١٣٨١هـ.
- ٣٣ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي - دار الحديث - القاهرة.
- ٣٤ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب - المجمع العلمي العراقي - ١٤٠٣هـ.
- ٣٥ - معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية: جلال الدين سعيد - دار الجنوب للنشر - تونس - ١٩٩٤م.
- ٣٦ - المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ٣٧ - مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف السكاكي - الطبعة الأولى - مصطفى الحلبي - ١٣٥٦هـ.

للمؤلف

تأليف:

- ١ - منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير (مجلدين) الطبعة الخامسة ١٤١٤.
- ٢ - اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٣ مجلدات) الطبعة الثانية ١٤١٤.
- ٣ - الصلاة في القرآن الكريم مفهومها وفقهها الطبعة السادسة ١٤١٤.
- ٤ - خصائص القرآن الكريم الطبعة الثامنة ١٤١٤.
- ٥ - دراسات في علوم القرآن الكريم الطبعة الرابعة ١٤١٥.
- ٦ - بحوث في أصول التفسير ومناهجه الطبعة الثالثة ١٤١٧.
- ٧ - قصة عقيدة الطبعة الأولى ١٤١٤.
- ٨ - البدهيات في القرآن الكريم (دراسة نظرية) الطبعة الأولى ١٤١٧.
- ٩ - البدهيات في الحزب الأول من القرآن الكريم (دراسة تطبيقية) الطبعة الأولى ١٤١٧.
- ١٠ - وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف الهجائية المقطعة في أوائل السور الطبعة الأولى ١٤١٧.
- ١١ - التفسير الفقهي في القيروان حتى القرن الخامس الهجري الطبعة الأولى ١٤١٧.
- ١٢ - منهج المدرسة الأندلسية في التفسير (صفاته وخصائصه) الطبعة الأولى ١٤١٧.
- ١٣ - مسألة خلق القرآن وموقف علماء القيروان منها الطبعة الأولى ١٤١٧.

تحقيق:

- ١ - تفسير سورة الفاتحة للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى الطبعة الخامسة ١٤٠٩.
- ٢ - تفسير سورة الفلق للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى الطبعة الثالثة ١٤١٤.

- ٣ - تفسير سورة الناس للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى الطبعة الثانية ١٤١٤.
- ٤ - تفسير سورة الفاتحة للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى (مختصر) الطبعة الثانية ١٤١٥.
- ٥ - فضائل القرآن الكريم للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى الطبعة الأولى ١٤١٧.

بالاشتراك:

- ١ - الموسوعة الإسلامية الميسرة (مجموعة من الباحثين من العالم الإسلامي) ١٠ مجلدات.
- ٢ - طرق تدريس التجويد وأحكام تعلمه وتعليمه (مع الدكتور محمد الزعبلوي) الطبعة الأولى ١٤١٧.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
المراد بالبدهيات	٩
أقسام البدهيات من حيث المصدر	١١
صلة البدهيات بالبلاغة	١٣
الإطناب	١٤
أقسامه	١٦
الأول	١٦
الثاني	١٨
التأكيد	٢٠
أنواعه	٢٠
أنواع البدهيات	٢٣
النوع الأول: البدهية الحسائية	٢٤
القسم الأول	٢٤
القسم الثاني	٣٠
النوع الثاني: البدهية اللغوية	٣٣
النوع الثالث: البدهية العادية	٤٠
أقسامها	٤٠
القسم الأول	٤٢
القسم الثاني	٤٤
القسم الثالث	٤٤
القسم الرابع	٤٨
القسم الخامس	٤٩
المصادر والمراجع	٥١
للمؤلف	٥٤